الصورة التعليمية بين السيميولوجيا واللسانيات

The educational picture between semiology and linguistics

د. بن الدين خولة*
المركز الجامعي أفلو
trezel@live.fr

تاريخ الوصول: 23-10-2021 تاريخ القبول: 11-01-2022 تاريخ النشر: 13-05-2022

ملخص:

أضحت الصورة تفرض وجودها بقوة في كل مجالات الحياة إذ تحررت من مفهومها الجاف التقليدي الى صورة تواكب عصر الفن و الإبداع. فأصبحت مصدر اهتمام للغوص في ثناياها و استنطاق معانيها فضلا عن ذلك تعد الصورة وسيطا رمزيا مثلها مثل اللغة و "لا يمكن أن ننكر دورها في وجودنا لأنها متاحة أمام الجميع مهما كانت انتماءاتهم و لغاتهم و مستواهم العلمي فهي ترفع عن الذين لا يجيدون القراءة و الكتابة أميتهم دون أن يبذلوا أي جهد للتعلم . وباتت شكلا مستقلا بذاته و قادرا على التعبير و التأثير و مما لا شك فيه أنها تستمد هذه القوة بكونها نصا مرئيا يقبل قراءات متعددة إن موضوعنا الموسوم ب "دراسة سيميائية للصور المضمنة في كتاب القراءة للسنة الخامسة للتعليم الابتدائي"هو في حقيقة الأمر محاولة لاكتشاف مدى تطابق النص البصري مع النص اللغوي مع التركيز على السيميائية كوسيلة لتحليل و قراءة الرسائل البصرية .

الكلمات المتاحية:.... الصورة ؛ سيميائية ؛ فاعلية الصورة؛ اللون.

Abstract:.

The image has become strongly imposing its presence in all areas of **life**, as it was liberated from its traditional dry concept to images that keep pace with the era of art and creativity. It became a source of interest to dive into its folds and investigate its meaningsIn addition, the image is a symbolic medium, like language, and “we cannot deny its role in our existence because it is available to everyone, regardless of their affiliations, languages and educational level. An independent form of its own, capable of expression and influenceUndoubtedly, it derives this strength from being a visual text that accepts multiple readings.

Elementary" is in fact an attempt to discover the extent to which the visual text matches the linguistic text, with a focus on semiotics as a means of analyzing and reading visual messages.

Keywords image; semiotics; image efficacy; the color

* – بن الدين خولة.

الاشكالية :

كيف يمكننا إستثمار ما للصورة من سلطة و قوة و ث ا رء دلالي لتسهيل عملية اكتساب اللغة عند المتعلم في مستويات التعليم الأولى ؟

الأهداف:

– الدراسة هو السعي لتعليم المتعلم

– كيفية قراءة الصورة و استنطاق معانيها

– فك رموزها لتكون وسيلة فعالة لبلوغ محتوى النص اللغوي المصاحب لها

1–مقدمة

تمثل الصورة مكانة في جميع المجالات ما جعل وضع تعريف بعينه وموحد غير صائب، باعتبار أن لكل توجه علمي نظرته الخاصة، التي ينطلق منها، والتي تحددها أدوار الصورة وكيفية استغلالها، فإذا تناولنا مفهوم الصورة من الناحية السيميائية نجد رولاند بارت(R Barthes يعتبرها رسالة تتمكن في ثلاثة نماذج هي : إما أن تكون رسالة لغوية أو رسالة أيقونية مشفرة تحتاج إلى تفسير محتواها، أو رسالة أيقونية غير مشفرة قادرة على إيصال المعاني بوضوح، نجمل المعنى لنقول أن الصورة هي إيحاء غير مباشر للمعاني، وتحتمل قراءات مختلفة بحسب المقام والسياق والمتلقي[1]

وبالتالي تصبح الصورة التربوية صورة إدراكية ذهنية من جهة وانفعالية وجدانية من جهة ثانية، وصورة حركية توحي بالفعل والأداء والانجاز من جهة ثالثة، وفي تعريف بسيط لسرايا عادل قدمه للصورة التعليمية، قال فيه» : الصورة التعليمية عبارة عن تسجيل دقيق للشكل الظاهري للجسم فيبرز شكله ولونه ويمكن أن نستدل منها على صلابته أو ليونته أو ملمسه من خلال خبرتنا الحسية [2]

في المجال السيكولوجي :هي" نشاط أو فاعلية ذهنية تعمل على إحضار جملة من الخصائص وصفات موضوع ما في الذهن,بكيفية يدركه بها وينظمه ويتصوره جهاز عقلي بشري ...[3]"، أما" في المجال التعليمي : الصورة وسيلة تعليمية مساعدة وسيط يتم من خلاله تحقيق وظيفة تعليمية معينة كالعرض والوصف والشرح والتحليل والبرهنة "..[4]أما" في تدريس اللغات :تحتل الصورة مكانة هامة ،حيث توظف كترجمة للملفوظ أو للإشارة إلى سياق التواصل،أو كمرجع للعلامة اللغوية) [5]، أما" في تدريس الاجتماعيات: ترتبط الصورة بالحدث التاريخي أو بملاحظة ظواهر جغرافية معينة أما في تدريس العلوم توظف لوصف الظواهر وأسمائها أو لعرض الظواهر الحية وملاحظتها.

2- دلالة الصورة التعليمية وفاعليتها

للصورة وظائف اساسية إثارة الاهتمام ، والتوضيح ، والاحتفاظ بالمعلومات لمدة طويلة[6]ناهيك عن الوظيفة التواصمية التي تحققها الصورة التي يعبر عنها عبد المجيد عابد في قوله:« فإذا كانت وظيفة اللغة الأساس هي

التواصل، وهذا التواصل يتضمن إبلاغاً لرسالة ما، قد تفتقر في بعض الأحيان، إلى آليات تمكنها من تحقيق وظيفتيا، فإن التواصل داخل أقسامنا لا يتم من خلال اللغة وحسب ، وانما من خلال قنوات أخرى أهمها الّصورة [7]

فالصورة يمكنها أن تقوم بدور رئيسي في حمل الرسالة التعليمية بحيث تجعل التعليم والتعلّم نشاطين ناجحين فاعلين[8] " وذلك لأنّها تتميّز بسمات أهمّها:

1–إنّها مشوّقة ومثيرة لاهتمام المتعلم، لكونها تقدّم الحقيقة العلمية في صورة معلومات بصرية.

2–إنّها موضّحة بألوانها وخطوطها وأشكالها للغة الحرفية.

3–تحقّق التواصل الزماني والمكاني بين الأفراد والأفكار.

4–تشجّع المتعلم على الملاحظة وتدفعه للاستنتاج الفعال والتفكير النقدي الإيجابي والاستدعاء الحرّ . فيتذكّر ما سبق له تعلمه[9]

5–إنّها توضّح وتفسّر وتشخّص المفاهيم المحسوسة.

3- الصورة في الفعل التربوي

يعتبر مفهوم التواصل أحد المفاهيم البارزة التي حظيت و لا زالت باهتمام الباحثين المختصين في شتى المجالات، وقد نتج عن هذا الانشغال ظهور نظريات أدت تطبيقاتها إلى إحداث قفزات نوعية في سلم تطور الأمم وتقدمها. ويعد الميدان التربوي أحد الميادين التي اهتمت بهذا المفهوم، إذ أن مردودية هذا القطاع تتوقف بالأساس على أسلوب التواصل وطبيعته . وتحتل الصورة سواء الثابتة أو المتحركة المركز المحوري في مختلف أشكال التواصل. إن أي مقاربة للصورة تتطلب المرور من تحليلها كما هي إلى تحليل مختلف الوظائف التي تؤديها في العلوم، وبعبارة أخرى يجب أن تتمحور الدراسة حول الصورة من جهة وحول الخطاب العلمي الذي تحمله من جهة ثانية

4-الصورة بين السيميولوجيا و اللسانيات

إن العلاقة بين السيميولوجيا الصورة واللسانيات أثارت مجموعة من الاسئلة ذات القيمة المعرفية و العلمية و فسحت المجال واسعا للمزيد من تحديد كل منها ضمن حقول العلوم الانسانية بقدر ما اضيفت على بعض هذه البحوث احيانا طابع المزيدات و الجدالات العميقة ، وهكذا أصبح الصراع بين السيميولوجي و اللساني يتمحور حول ما اذا لم تكن سيميولوجيا الصورة سوى نقل حرفي مباشر لمفاهيم التواصل مع اللغة الطبيعية ، و بالتالي العقل المنهجي اللساني ، لا يعني بالضرورة إسقاط المفاهيم اللسانية على أنظمة التواصل البصرية وعليه يمكن وصف العلاقة بين اللغة والصورة عند بارت بأنهاعلاقة أحادية ، تحتاج فيها الصورة إلى اللغة دون حاجة اللغة إلى الصورة ، الصورة مهما كانت بلاغتها فى التعبير والتأثير ،ترد إلى اللغة وقد أكد بارت هذا الكلام فى كتابه عناصر السيميولوجيا بقوله على الرغم من أن الحضارة المعاصرة ، قد غرقت فى بحر من الصور المرئية ، إلا أنها لم تتخل فى أى لحظة عن الكتابة ، فعالم الدلالات ليس سوى عالم اللغة[10] الصورة من أهم وسائل التأثير والإقناع في العملية

التعليمية نظرا لاحتوائها على السنن الشكلية والسنن اللونية ، خاصة إذا كان هناك تناسق بينهما ، فهى عبارة عن علامات بصرية تترك إنطباعات في نفسية التلميذ فالصورة تقوم بمهمة توجهية إلى جمهور المتعلمين (التلاميذ المستقبلين للصورة) من حيث الأفكار و الإتجاهات و الميول وذلك بهدف التأثير فيهم و إقناعهم بتبنيها هذا فضلاً عن أن الصور الموجودة فى مجال اللغة ، تكون صوراً ذهنية لا يتضح معناها من ارتباطها بالواقع الفعلي ، مثل الصور الحسية ، بل يتضح معناها من اكتمال العلاقة فيها بين الدال والمدلول فأى كلمة فى اللغة حتى لو كانت تشير إلى شىء حقيقى موجود بالفعل فى الواقع الخارجى إلا أنها لا تشير إلى شىء بعينه ، وأنما تشير إلى الصورة الذهنية الموجودة فى عقل المتحدث ، والتى يترجمها إلى صورة صوتية ، يتلقاها المتلقى فى صورتها الصوتية ، ويترجمها بدوره إلى صورة ذهنية[11]

وتكتسي الصورة أهمية بيداغوجية كبرى لكونها تمثل لغة عالمية تتحدى اختلاف اللغات، وتضفي طابع الواقعية على الدرس، وتدفع الطلبة إلى تركيز الملاحظة، فتسمح لهم بإنجاز مهارات عقلية كالتحليل والتركيب والتفكيك والتقويم. **ويشير خبراء التربية والتعليم إلى أنّ للصورة وظيفة فعالة، فهي الرابطة بين الرمز اللفظي والمعجم ومتصوره، فهي تساعد الطالب على تحصيل المعرفة واكتساب المهارات اللغوية، ويحدد فيرث قيمته**[12]يشير خبراء التربية والتعليم إلى أنّ للصورة وظيفة فعالة، فهي الرابطة بين الرمز اللفظي والمعجم ومتصوره، فهي تساعد المتعلم على تحصيل المعرفة واكتساب المهارات اللغوية، وقد حدد لها تاردي Tardy في كتابه"الوظيفة السيميائية للصور"–انطلاقا من تحليل دور الصورة ضمن إطار تعليمية الألسن [13]فالصورة تساهم في "تنشيط عمليات الانتباه والإدراك والتّذكر والتّصوّر والتّخيّل، وهي العمليات المهمة أيضا في التّعليم والتعلم، وأن العامل الحاسم هو الطريقة التي تقدم من خلالها، وكذلك طرائق التّعرض اليومية لهذه الصور وأساليب توظيفها بطرائق إيجابية أو سلبية"

يرى خبراء مؤلفات الأطفال أن الصورة من اللغات المهمة للطفل التي يفهمها وتنمي مداركه، كونها تقوم مقام ألف كلمة. فلغة الصور لغة مرئية يمكن من خلالها تسجيل ما لنا من خبرات لا نستطيع التعبير عنها، لأن الكلمات المكتوبة ما هي إلا صور مرسومة، ومن ثم فإن عملية القراءة لدى الطفل تبدأ بقراءة الصور.

من حيث الدلالة السيميائية، فالصورة تكون أكثر تعبيرا وتوضيحا من الكلمات اللغوية .ومن ثم، فصورة واحدة خير من ألف كلمة. لذلك، تلتجئ العلوم والمعارف ووسائل الإعلام إلى توظيف الصورة في عملية الأداء والتبليغ والتواصل ونقل الخبر .ويضاف إلى هذا أن الصورة قد تبنى على عدة علاقات، مثل: علاقة المطابقة، وعلاقة المماثلة، وعلاقة الإحالة، وعلاقة الأيقنة، وعلاقة الإيحاء، وعلاقة الترميز، والعلاقة السيميائية، وعلاقة التضمين، وعلاقة التعيين، وغيرها من العلاقات الأخرى التي تتحدد من خلال السياق التداولي والتواصلي، تشكل الصورة التّعليميّة المرجع الذي يستند عليه ذهن المتعلم خاصة في هذه المرحلة التي لا يقوى فيها على الربط المباشر والسريع بين الملفوظ والمتصور، فالصورة تعينه على ذلك وتختصر عليه ذاك العناء وتدرّبه على تطوير ملكة الخيال، كما

يستطيع المتعلم تكوين معجمه اللغوي بسهولة استنادا على الصور المصاحبة للنّص، حيث تترسّخ المفردات ودلالتها بسهولة، ويمكن استرجاعها بكل يسر عند الحاجة.

5- ابستمولوجية اللون ودلائليته

للالوان أهمية ابستمولوجية خاصة من حيث كونها دلائل اولية لتعيين هوية الموضوعات المختلفة و تمثلها ادراكيا فالابصار اللوني هو أحد أكثر أنواع الادراك الحسي أهمية للبشر فضل عن المغزى السيمانطيقي المتمثل من دلائل المفردات و التصورات اللونية و ارتباطاتها السببية و من جهة ثالثة تؤدي الالوان دورا محوريا من تشكيل العلقات الاجتماعية بين الناس فربط الانسان الاول الالوان بالعالم المرئي من حوله ، و رمز بها الى قوى خفية يشعر بها ولا يراها[14]

و في هذا السياق توضح " باولينا كرجومارد " هذا الأمر بقولها : أن الصور هي أيضا تساعدنا على أن نأخذ بيد الطفل نحو الكلام ، من منا لم يسمع النبرة الهادئة التي يطلب بها الطفل من أمه كتابا مصور[15]

6- وظائف استخدام الصورة التّعليميّة

حقق الصورة التعليمي في الكتاب المدرسي مجموعة من الوظائف التي ندرجها على الشكل التالي :

6-1 -الوظيفة التربوية والديداكتيكية:

تتمثل في استعمال الصورة لتحقيق أغراض تعليمية – تعلمية أثناء حصة الدرس عبر مختلف مقاطعها التدريسية (المقطع التمهيدي- المقطع التكويني- المقطع النهائي). إنها عنصر متعة وميداُ ن اكتشا ٍف، ولذلك يحسُن استثمارها كما ينبغي للوصول إلى تحقيق الغايات المطلوب أثناء العملية التعليمية،

6-2 -الوظيفة السيميائية:

تتجلى في استعمال الصورة التربوية باعتبارها علامة دالة، تحمل في طياتها دلالات رمزية موحية وتضمينية.

6-3- الوظيفة التعبيرية :

تعبر الصورة عن مجموعة من المعاني والقضايا الذاتية والموضوعية التي يمكن استكشافها عن طريق الصورة إبان الحصة الدراسية.

6-4 -الوظيفة التأثيرية:

تسعى الصورة التربوية إلى التأثير على المتلقي إيجابا و سلبا، وإثارة انتباهه المعرفي والوجداني والحسي الحركي.

6-5 - الوظيفة المرجعية:

تتمثل هذه الوظيفة في كون الصورة وثيقة موضوعية ومرجعية، تعبر عن حقائق معينة ذاتية أو موضوعية.

6- 6 **الوظيفة الجمالية** :

تتميز الصورة التربوية، خاصة في مادة الفنون التشكيلية، بأبعادها الفنية والجمالية، كأن تكون صورة واقعية أو صورة انطباعية أو صورة سريالية أو صورة تكعيبية أو صورة تجريدية...

6-7 الوظيفة الأيقونية :

ويعني هذا أن الصورة أيقون بصري ومرئي له علاقة تماثلية مع الموضوع الذي يعبر عنه أو يمثله أو يشخصه.

6- 8 - الوظيفة **التربوية**

حمل الصورة التربوية في طياتها حمولات حضارية وثقافية متنوعة، تعبر عن وعي الإنسان سلبا أو إيجابا، وتعكس قيمه ومستوى ثقافته وتطوره التقني والعلمي والأدبي والفني، بما أن "الرّمز يقوم مقام شيء آخر، أو يمثله، أو يدل عليه، لا بالمماثلة، وإّ نما بالإيحاء السريع، أو بالعلاقة العرضية، أو بالتواطؤ ."[16]ورمزية الصورة تؤهلها لأن تكون ذات معا ن ثانوية متعّددة، تتسّرب إلى ذهنّ المتلقي شيئ وا فشيئا ، فتظهر بعض نتائجها على الفور، ويظهر بعضها الآخر لاحقا، لأن الكثير من المعاني التي قصدها مؤلفو الكتاب المدرس ي ليست ذات طبيعة علمية، ولكنها تربوية قيمية بالّدرجة الأولى، تتأّ تى عبر لون الصورة أو شكلها أو حجمها، أو عبر معانيها الهامشية الزائدة على المعنى الأساسي، المتمثل في تعليم الطفل أساسيات اللغة العربية

7- **خاتمة**

– **تؤدي** الصورة التعليمية لوظيفة البيداغوجية، و تحمل مجموعة من الرسائل لما تتمتع به من جاذبية وتشويق وقدرة على نقل المعاني المجردة في ايجاز ودقة ووضوح. ولذلك أصبح من الضرورة إعطاؤها الاهتمام اللازم، بكل حيثياتها وعناصرها، ثم إعادة النظر في الرسائل السلبية التي قد تحملها للمتعلم.

– أضحت الصورة مجموعة من البنى السيميولوجية المنتجة للمعنى، إنها شكل معرفي مستقل بذاته وقادر على التعبير والتأثير. ومما لاشك فيه، أن مصدر هذه القوة يكمن في كونها ا نصاً مرئياً مفتوحاً على اللغات قاطبة، وأنها ثرية بقدر يسمح بقراءات متعددة وباحتلال الطاقة البصرية، التي مهدت من خلالها لاختراق المخيال العام

– تسهم الصور في تكوين ثقافة المتعلمين البصرية، وزيادة فاعلية عملية التعليم والتعلم، كما تساهم في تعميق القيم الصحيحة وتصحيح تلك المبنية على رؤى خاطئة، بالإضافة إلى عملها على توليد قيم جديدة وفق حاجيات المجتمع. لتكون هذه الصور أداة ثقافية وفنية وذوقية وتخييلية، تعمل على تكوين شخصية المواطن الصالح،

– تلبي حاجات المتعلم في التعلم والتدقيق والتحصيل والبناء وإعمال الفكر

- توجه معارفه في الموضوع الذّي تثيره الصورة في المادة الدراسية.

الهوامش:

(1) Barthes (R). 1964. Rhétorique de l'image.

(2) .سرايا عادل . 2008 .تكنولوجيا التعليم ومصادر التعلم مكتبة الرشد . ط1، .ص171

(3) عبد اللطيف الفاراي وآخرون،معجم المصطلحات الديداكتيكية، سلسلة علوم التربية 10 - 9 ص1

(4)نفس المرجع ، ص163 :

(5) نفس المرجع ، ص: 1

(6) ينظر محمد السيد عمي: تكنولوجيا التعميم والوسائل التعميمية، دار ومكتبة الإسراء لمطبع والتوزيع طنطا، ط ،1 119 . ، ص2005

(7)عبد المجيد العابد: مباحث في السيميائيات، دار القرويين، ط ،1 2008، ص .1

(8) عبد العليم إبراهيم :**الموجه الفني**، دار المعارف، ط، 1 مصر، 1962

(9) عبد العظيم الفرجاني :**تكنولوجيا إنتاج المواد التعليمية**، دار غريب، مصر،2

(10) صلاح فضل:نظرية البنائية فى النقد الادبى-الهيئة المصرية العامة للكتاب -2003 ض 298

(11) عبد العزيز حمودة:المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك-المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب –الكويت- -271 ص1998-232ع

(12) عبد المجيد سيد أحمد منصور، علم اللغة النفسي، دار العلوم للكتاب، دمشق، سورية، 1989،ص 46

(13) Tardy .M .La fonction sémantique des images.1975 ; pp19-43

(14) احمد مختار عمر اللغة و اللون ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ، 1997 ، ص2.

(15) إسماعيل صالح الفرا : مهارات قراءة الصورة لدى الأطفال بوصفها وسيلة تعليمية – دراسة ميدانية – مؤتمر فيلادلفيا . (الكتروني

(16) محمد السرغيني :**محاضرات في السيميولوجيا**، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1267هـ-1987م، ط.1 ص 45

9- قائمة المراجع والمصادر

1- احمد مختار عمر اللغة و اللون ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ، 1997

2- إسماعيل صالح الفرا : مهارات قراءة الصورة لدى الأطفال بوصفها وسيلة تعليمية – دراسة ميدانية – مؤتمر فيلادلفيا . (الكتروني سرايا عادل . 2008 .تكنولوجيا التعليم ومصادر التعلم.

3- صلاح فضل:نظرية البنائية فى النقد الادبى-الهيئة المصرية العامة للكتاب -2003

4- عبد العزيز حمودة:المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك-المجلس الوطنى للثقافة والفنون والاداب –الكويت- -271ص1998-232ع

5- عبد العظيم الفرجاني :**تكنولوجيا إنتاج المواد التعليمية**، دار غريب، مصر،2

6- عبد العليم إبراهيم :**الموجه الفني**، المعارف، مصر، 198.
7- عبد اللطيف الفا ا ربي وآخرون،معجم المصطلحات الديداكتيكية، سلسلة علوم التربية 10 - 9
8- عبد المجيد العابد: مباحث في السيميائيات، دار القرويين، ط ،2008
9 - عبد المجيد سيد أحمد منصور، علم اللغة النفسي، دار العلوم للكتاب، دمشق، سورية، 1989
10- محمد السيد عمي: تكنولوجيا التعميم والوسائل التعميمية، دار ومكتبة الإسراء لمطبع والتوزيع طنطا، ط ،1
-11 ardy .M .La fonction sémantique des images.1975 ; pp19-43